

كتاب
كيفية الزيارة الشرعية للمدينة النبوية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإنه لا شيء أفسد على الأمة دينها وضيّع كيانها وجعلها غثاءً كغثاء السيل فتكالب عليها أمم الكفر، كالبدع التي تفتك في الأمة فتك الذئب بالغنم وتنخر فيها نخر السوس في الحب وتسري في كيان الأمة سريان النار في الهشيم..

إن البدع التي يموج فيها السواد الأعظم في هذه الأمة وبخاصة في هذه الفترة أدت إلى انتشار الشرك بطريقة لا يصدقها عاقل أبداً. فكم كنت حزيناً عندما سمعت بهذا الرجل الذي جاء من وطنه قاصداً أداء مناسك الحج فإذا به يذهب إلى المدينة النبوية يجلس فيها طوال أيام الحج ومعرضاً عن أداء مناسك الحج، جالساً أمام قبر النبي ﷺ مستغيثاً به مستشفعاً طالباً قضاء

الحوائج منه بل أخذ ينكر على قاصدي مكة لأداء مناسك الحج قائلاً: (الحج هاهنا) يعني الجلوس أمام القبر ثم رجع إلى وطنه دون أن يؤدي مناسك الحج فيا لها من غربة للدين ويا له من شركٍ صراح.

لقد أحدث المسلمون في دينهم من البدع ما انحرف بكثير منهم عن سواء السبيل وعمّى عليهم دينهم الحق الأصيل فما يفتح لهم الشيطان باباً من الضلال إلا ولجوه ولا يزين لهم شيئاً من البدع إلا تبعوه وما زال الخطر يستفحل والشر يتفاقم حتى طمَّ السيل وأليل الليل عن كثير من المسلمين. وما تزال بلادنا ـ ولله الحمد ـ سليمة من كثير من البدع التي تموج بها كثير من بلاد المسلمين وذلك بفضل الله ثم بفضل دعوة التوحيد وتكاتف الولاة والعلماء على السير بقوة حسب المنهج الشرعي وسد أبواب البدع بقدر الإمكان.

ولكن كثيراً ما يقع بعض الوافدين لبلادنا وخصوصا أثناء أداء الحج والعمرة في بعض البدع جهلاً منهم بهذا الأمر وهذا من أسباب كتابة هذه الأسطر أداء للأمانة وبراءة للذمة وقياماً بواجب النصيحة، وقبل أن أشرع في المقصود أحببت أن أوضح أمراً مهماً وهو أن أي عمل لا بد لقبوله من تحقق شرطين أساسيين هما:

شروط قبول الأعمال:

بيَّن الله ﷻ في كتابه أنه لا يقبل أي عمل مما يتقرب به العباد إليه إلا إذا توفر فيه شرطان:

الشرط الأول: من شروط قبول الأعمال.

إخلاص العمل لله وحده لا شريك له لقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى**»(١).

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي (١/ ١٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**» (٣/ ١٥١٥).

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]

وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٤].

وقوله ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه**»(١).

الشرط الثاني: أن يكون هذا العمل الذي يقوم به قد شرعه الله أو شرعه رسوله ﷺ بمعنى أنه لا يكون بعبادة مبتدعة.

لقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»(٢).

ولهذا قال أهل العلم: إن العبادات مبناها على التوقف، وقال بعضهم: الأصل في العبادات الحظر؛ أي: المنع.

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فمن أخلص أعماله لله متبعاً في ذلك رسول الله ﷺ فهذا الذي عمله مقبول، ومن فقد الإخلاص والمتابعة لرسول الله ﷺ أو أحدهما فعمله مردود داخل في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

ومن جمع الأمرين (أي: الإخلاص والمتابعة) فقد دخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥].

وفي قوله: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢].

فحديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إنما الأعمال بالنيات**» ميزان للأعمال الباطنة، وحديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» ميزان للأعمال الظاهرة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في ملة غير الله (٤/٢٢٨٩).

(٢) سبق تخريجه.

فهما حديثان عظيمان يدخل فيهما الدين كله أصوله وفروعه وظاهره وباطنه أقواله وأفعاله(١).

أسأل الله جل وعلا أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن ينفعنا بما علمنا ويعلمنا ما جهلنا وأن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا علينا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وكتبه أبو محمد
أ. د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار
ص.ب. ١٨٨ ـ الزلفي: ١١٩٣٢

(١) بهجة قلوب الأبرار ـ لابن سعدي (ص١٠).

ذكر
بعض فضائل المدينة النبوية

من فضائل المدينة التي يستحضرها كل مسلم عند زيارته لها أنها:

ـ مهبط الوحي المنزل على النبي ﷺ.

ـ أنها دار هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فإليها هاجر وفيها عاش آخر حياته وبها مات وفيها قبر ومنها يبعث.

أنها ملتقى صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار فهي موطن الذين تبوؤا الدار والإيمان.

فيها عقدت رايات الجهاد في سبيل الله تعالى فانطلقت منها كتائب الحق التي تخرج الناس من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد بل قامت بإخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والهداية.

أما الأحاديث التي جاءت في فضلها فهي كثيرة، منها:

١ ـ أن الله جعلها حرماً آمناً كما جعل مكة حرماً آمناً فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن إبراهيم حرّم مكة وإني حرّمت المدينة لا يقطع عضدها ولا يصاد صيدها**»(١).

٢ ـ أن الله سماها طابة وسماها النبي ﷺ طيبة، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الله سمى المدينة طابة**»(٢).

وهذان اللفظان مشتقان من الطيب وهما يدلان على الطيب فهما لفظان

(١) روا مسلم برقم (١٣٦٢).

(٢) روا مسلم برقم (١٣٨٥).

طيبان أطلقا على بقعة طيبة[١].

٣ ـ ومن فضائل المدينة أن الإيمان يأرز إليها فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها**»[٢].

ومعنى الحديث: أن الإيمان يتجه إليها ويكون فيها والمسلمون يؤموها ويقصدونها يدفعهم إلى ذلك الإيمان ومحبة هذه البقعة المباركة التي حرمها الله عز وجل.

٤ ـ ومن فضائل المدينة وصفها بأنها تأكل القُرى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أمرت بقرية تأكل القرى يقولون لها يثرب وهي المدينة**»[٣].

ومعناه: أن النبي ﷺ أمر بالهجرة إلى هذه القرية يعني المدينة التي من صفاتها أنها تأكل القرى.

ومعنى تأكل القرى قيل بأنها تنتصر عليها وتكون الغلبة لها على القرى، وقيل بأنها تُجلب إليها الغنائم التي تحصل من الجهاد في سبيل الله.

ومن فضائلها: أن النبي ﷺ بين عظم شأنها وخطورة الإحداث فيها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**المدينة حرم بين عَيْر إلى ثور، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**»[٤].

ومن فضائل المدينة: أن النبي ﷺ دعا لها بالبركة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مدنا**»[٥].

---

(١) انظر: رسالة فضل المدينة وآداب سكناها وزيارتها لشيخنا عبد المحسن العباد البدر.
(٢) رواه البخاري (٤/٩٣) برقم (١٨٧٦)، ومسلم برقم (١٤٧).
(٣) رواه البخاري (٤/٧٨) برقم (١٨٧١)، ومسلم برقم (١٣٨٢).
(٤) رواه مسلم (١٣٧١).
(٥) صحيح البخاري (٦/٨٣) برقم (٢٨٨٩).

ومن فضائل المدينة: أن النبي ﷺ حث على الصبر على لأوائها فعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: **«المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدله الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»**(١).

ومن فضائلها أيضاً أنه لا يدخلها الطاعون والدجال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«على أعتاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»**(٢).

وهناك فضائل أخرى كثيرة نكتفي بما ذكرنا(٣).



(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة رقم الحديث (١٣٦٣).

(٢) البخاري (٤/ ٩٥)، مسلم رقم (١٣٧٩).

(٣) من أراد المزيد من فضائل المدينة فعليه بكتاب: الأحاديث الواردة في فضائل المدينة، الشيخ صالح بن حامد ابن سعيد الرفاعي.

ذكر بعض فضائل أماكن مخصوصة بالمدينة

اختصت المدينة عن غيرها بأن جعل الله فيها أماكن مخصوصة يزيد أجر التعبد فيها، ومن هذه الأماكن:

أولاً: المسجد النبوي:

جاءت بعض نصوص السنة التي تدل على فضل هذا المسجد وذلك حثاً للهمم على الوصول إليه والتعبد إلى الله تعالى فيه وسنذكر طرفاً من هذه الأحاديث.

١ ـ فمن فضائل المسجد النبوي أن الصلاة فيه تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»(١).

٢ ـ ومن فضائل هذا المسجد أنه أحد الثلاثة مساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا**»(٢).

٣ ـ ومن فضائل المسجد النبوي أن به الروضة التي هي روضة من رياض الجنة. عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**»(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٦٣)، ومسلم برقم (١٣٩٤).
(٢) البخاري (٣/ ٦٣)، مسلم (٢/ ٩٧٦).
(٣) البخاري (٣/ ٧٠)، مسلم برقم (١٣٩١).

وهنا مسألة يسأل عنها البعض وهي هل تشرع الصلاة في الروضة أم في المسجد عموماً وهل تكون الروضة مكاناً للذكر ويشملها «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»؟

والجواب على هذه المسألة أن يقال:

لا شك أن الروضة خصصت بما ذكرناه من أدلة وهذا يدل على فضلها وتميزها عن غيرها. أما عن الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن فيها، فإن كانت الصلاة نافلة فهنا يستحب الصلاة فيها عند الاسطوانة المخلقة وهي الواقفة في ظهر المحراب الذي هو علم على مصلى النبي ﷺ مائلة إلى جهة اليمين ملاصقة له وهي المكتوب عليها (اسطوانة المخلقة) وسميت بذلك لأن الصحابة كانوا يضعون عليها الخلوق وهو نوع من الطيب.

أما دليل تحري الصلاة عند هذه الاسطوانة فما رواه البخاري ومسلم عن يزيد بن أبي عبيد قال: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الاسطوانة التي عند المصحف فقلت: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الاسطوانة قال: «فإني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها»(١).

أما صلاة الفريضة وكذا صلاة النافلة إذا كانت مع الإمام كصلاة التراويح والقيام، فإن أداءها في الصفوف الأمامية هو السنة لقوله ﷺ: «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها**»(٢) ولقوله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه**»(٣).

أما ذكر الله وتلاوة القرآن فيها والدعاء عندها وغيره فهذا إن فعله بالروضة دون حدوث إضرار بأحد عند إرادة الوصول إليها وعدم حصول ضرر لأحد فيها فهذا حسن وإلا فلا.

ومن فضائل مسجد النبي ﷺ أن من جاء إليه ليتعلم فيه أو ليعلم فيه كان

(١) صحيح البخاري (١/ ٥٧٧)، ومسلم برقم (٥٠٩).
(٢) رواه مسلم برقم (٤٤٠).
(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ البخاري (٢/ ٧٩، ٨٠)، ومسلم (٤٣٧).

كالمجاهد في سبيل الله. فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو ليعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره**»(١).

مسجد قباء:

ورد في فضل مسجد قباء بعض الأحاديث التي تدل على شرفه، وسنذكر بعض الأحاديث التي وردت في فضله:

١ ـ أن الصلاة فيه تعدل أجر عمرة.

عن سهل بن حنيف ﷺ قال: «من خرج حتى يأتي هذا المسجد، يعني مسجد قباء، ليصلي فيه كان كعدل عمرة»(٢).

وفي رواية: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة»(٣).

وفي رواية: «من أتى مسجد عمرو بن عوف، مسجد قباء، لا ينزعه إلا الصلاة كان له أجر عمرة»(٤).

٢ ـ ومن فضائله أن النبي ﷺ كان يأتيه كل أسبوع. فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: «كان النبي ﷺ يأتي قباء راكباً وماشياً».

وفي رواية: «كان النبي يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً» وفي رواية فيصلي فيه ركعتين(٥).

---

(١) صحيح سنن ابن ماجه (١/٤٤)، صحيح الترغيب والترهيب (١/٣٩)، صحيح الجامع الصغير (٦٠٦٠).

(٢) رواه أحمد (٣/٤٨٧)، سنن ابن ماجه (١٤١٢)، سنن النسائي (٢/٣٧).

(٣) تاريخ المدينة (١/٤٠)، سنن ابن ماجه (١٤١٢).

(٤) البخاري في تاريخه (٦/٤٤٣)، ابن حبان في الثقات (٥/٢٢٩)، صحيح ابن ماجه (١/٣٧).

(٥) صحيح البخاري (٣/٦٩)، مسلم (١٣٩٩)، سنن أبي داود (٢٠٤٠).

مسألة:

من تطهر في بيته ثم ذهب إلى قباء فصلى هل تشمل الفريضة أم أنها ركعتان خاصتان وهل تتكرر أم أنها مرة واحدة؟ وهل يشمل من تطهر في غير بيته؟ وهل يشمل من تطهر وقت النهي وقصد قباء للصلاة فيه؟

الجواب:

الصحيح أنه تشمله صلاة الفريضة والنافلة لقوله ﷺ في حديث سهل بن حنيف المتقدم وفيه: «... فصلى فيه صلاة»(١). ولفظ (صلاة) يشمل الفرض والنفل.

أما كونه إذا صلى فيه ركعتين هل تتكرر أم أنها مرة واحدة؟

الثابت عن النبي ﷺ أنه كان يصلي فيه ركعتين(٢) ولم يأت عن النبي ﷺ الزيادة على ذلك لكن إذا زاد الإنسان على الركعتين فلا بأس لعدم ورود النهي عن الزيادة.

وكذا يشمل هذا الفضل من تطهر في غير بيته أو تطهر وقت النهي وصلى فيه لأن من دخل المسجد وقت النهي فعليه أن يصلي ركعتين تحية المسجد وهما يتحقق بهما هذا الفضل.

ولم يرد في السنة ما يدل على فضل مساجد أخرى في المدينة غير هذين المسجدين كما بينا سابقاً فجعل مساجد أخرى كله من البدع المنهي عنها.



(١) سبق تخريجه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

وجوب العمل بالسنة

* أدلة القرآن على وجوب العمل بالسنة.
* تفسير أقوال أهل العلم للآيات الواردة في ذلك.
* أدلة السنة على وجوب العمل بها.
* ذكر الآثار المروية عن السلف في ذلك.
* التحذير من مخالفة السنة.
* الآيات مع بيان تفسيرها.
* تحذير السلف من مخالفة السنة.
* الاعتصام بالسنة نجاة.
* التعريف بالسنة.
* كيف تتعرف على صاحب السنة.

أولاً: وجوب العمل بالسنة

أمر الله عباده المؤمنين عند التنازع في أمر من أمور الدين أن يحيلوه إلى كتابه سبحانه وإلى سنة رسوله ﷺ فقال جل في علاه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وانظر إلى قوله: ﴿وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فكأنه ﷻ جعل ذلك شرطاً من شروط الإيمان به ﷻ بل بين ﷻ أتم البيان أنه لا تتم طاعته ﷻ إلا بتمام طاعة النبي ﷺ فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء: ٨٠].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى إلى أن قال رحمه الله وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ أي: ما عليك منه إن عليك إلا البلاغ فمن اتبعك سعد ونجا وكان لك من الأجر نظير ما تحصل له، ومن تولى عنك خاب وخسر وليس عليك من أمره شيء»(١).

ومن زعم أنه محب لله ﷻ فقد جعل الله ﷻ محبته مقرونة باتباع واقتفاء آثار النبي ﷺ، فمن زعم أنه محب لله ثم لم يتبع النبي ﷺ فزعمه باطل، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الحسن البصري رحمه الله: زعم قوم محبتهم لله تعالى فابتلاهم الله تعالى بهذه الآية.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: هذه الآية حاكمة لكل من

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٢٨).

ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**فمن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(١).

بل أمر الله بالأخذ بسنته وما يأمر به والانتهاء عما ينهى عنه والأمر في ذلك يقتضي الوجوب قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. أي: مهما أمركم به فافعلوه وما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر.

والأدلة من القرآن مستفيضة في وجوب العمل بسنته ﷺ، أما دلالة السنة على وجوب العمل بها فهي كثيرة أيضاً منها:

١ ـ عن أبي هريرة ؓ: عن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»(٢).

٢ ـ عن أبي نجيح العرباض بن سارية ؓ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصانا فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٣).

٣ ـ ومن أدلة وجوب العمل بالسنة ما رواه البخاري عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: **من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥٨/١).
(٢) رواه مسلم (١٣٣٧).
(٣) رواه أبو داود (٤٢٠٧)، والترمذي (٢٦٧٨)، وأحمد (١٢٦/٤ ـ ١٢٧)، وابن ماجه (٤٢)، وصححه ابن حبان (١٠٢).
(٤) رواه البخاري (٢٢١٢).

وأدلة السنة أيضاً مستفيضة في وجوب العمل بها.

الآثار المروية عن السلف في وجوب العمل بالسنة:

وهكذا فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أن السنة واجب العمل بها وأنه لا غنى عنها بل كانوا يعظمون العمل بها وهذه بعض الآثار التي جاءت عنهم:

ما روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله.

قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب فقالت: يا أبا عبد الرحمٰن بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله، قالت: إني لأقرأ ما بين اللوحين فما أجده، قال: إن كنت قارئة لقد وجدتيه أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ قالت بلى، قال: فإنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ، قالت: إني لأظن أهلك يفعلون ذلك، فإذا هي فانظري، قال: فدخلت فلم تر شيئاً قال: فقال عبد الله: لو كانت كذلك لم نجامعها(١).

وعن عبد الرحمٰن بن يزيد: أنه رأى محرماً عليه ثيابه، فنهى المحرم فقال: ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي قال فقرأ عليه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(٢).

عن هشام بن حجير قال: كان طاووس يصلي ركعتين بعد العصر فقال ابن عباس: اتركها، فقال: إنما نهي عنهما أن تتخذ سنة، فقال ابن عباس: قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد العصر، فلا أدري أتعذب عنها أم تؤجر لأن الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦](٣).

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله (ص٣٨٢).
(٢) المرجع السابق (ص٣٨٣).
(٣) مختصر جامع بيان العلم وفضله (ص٣٨٣).

ثانياً: التحذير من مخالفة السنة

حذر الله تعالى عباده المؤمنين من مخالفة نبيه ﷺ وبيَّن خطورة هذا الفعل في كثير من آياته ﷺ قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال الإمام أحمد رحمه الله:

عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك(١).

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله فما وافق ذلك قُبل وما خالف فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر ونفاق وبدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك... انتهى(٢).

ففي هذه الآية تهديد ووعيد لمن خالف ما كان عليه النبي ﷺ سواء

(١) انظر: القول المفيد في شرح كتاب التوحيد، (ص١/٢٥٨ ـ ٢٥٩).
(٢) تفسير القرآن العظيم ـ لابن كثير (٣/٣٠٦ ـ ٣٠٧).

أكان ذلك بزيادة أم نقص، وقد استدل بهذه الآية كثير من أهل العلم على أنه لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يزيد أو ينقص عما جاءت به نصوص السنة.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه الاعتصام:

حكى عياض عن سفيان بن عيينة أنه قال سألت مالكاً عمن أحرم من المدينة وراء الميقات، فقال: هذا مخالف لله ورسوله وأخشى عليه الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقد أمر النبي أن يهل من المواقيت.

وحكى ابن العربي عن الزبير بن بكار قال: سمعت مالك بن أنس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم؟ قال: من ذي الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر، قال: لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة فقال: وأي فتنة في هذه إنما هي أميال أزيدها، قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصّر عنها رسول الله ﷺ إني سمعت الله يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ومن الآيات الدالة على التحذير من مخالفة السنة ووجوب الرجوع إليها قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]. فمن خالف حكم رسول الله ﷺ ولم يرض بحكمه ﷺ فقد نفى الله عنه الإيمان.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً وبهذا قال: ﴿لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن

يسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا منازعة(١).

ومن الآيات أيضاً: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝٣٦﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء: ١٤].

والآيات في التحذير من مخالفة النبي ﷺ كثيرة:

فالحذر الحذر من مخالفة النبي ﷺ فإن من خالف النبي ﷺ وسلف الأمة الذين كانوا متمسكين بهديه ولّاه الله ما تولى كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

ولما جاءت نصوص الكتاب والسنة بالوعيد الدنيوي والأخروي لمن خالف هدي النبي ﷺ كان السلف أخوف الناس على أنفسهم من هذه المخالفة بل كانوا يحذرون الناس من التلبس بهذه المعصية أشد التحذير. وسنذكر طرفاً من أقوالهم وتأدبهم مع سنة النبي ﷺ.

١ ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد، فلا يمنعها قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه سباً شديداً، ما سمعته سب مثله قط، وقال: أخبرك عن النبي ﷺ وتقول والله لنمنعهن**»(٢).

٢ ـ وعن أيوب قال: قال عروة لابن عباس: ألا تتقي الله؟ ترخص في المتعة فقال ابن عباس: سل أمك يا عرية؟ فقال عروة: أما أبو بكر وعمر فلا يفعلا، فقال ابن عباس: والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله نحدثكم عن النبي ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر وعمر، وفي رواية: أنه قال: أراهم

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٠).

(٢) متفق عليه (البخاري برقم ٨٧٣)، ومسلم برقم (٤٤٢).

سيهلكون، أقول: قال رسول الله ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمر[١].

٣ ـ وقال أبو الدرداء: من يعذرني من معاوية أحدثه عن رسول الله ﷺ ويخبرني برأيه، لا أساكنك بأرض أنت بها[٢].

وهكذا فهم صحابة النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أنه لا يجوز لأحد أن يخالف أحاديث النبي ﷺ بل حذر أئمة الهدى من الأخذ بآرائهم وترك أحاديث النبي ﷺ ولذا قالوا جميعاً: إذا رأيتم حديث النبي ﷺ يخالف ما نقول فاضربوا بأقوالنا عرض الحائط وخذوا بحديث النبي ﷺ، وكم كان الواحد منهم يقول القول ثم يبلغه حديث النبي ﷺ فيترك ما يقول ويأخذ بحديث النبي ﷺ، فمن لم يسعه قول النبي ﷺ وما جاء عن سلف الأمة لا وسع الله عليه.



(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله (ص٣٩١).

(٢) نفس المرجع (ص٣٩١).

ثالثاً: الاعتصام بالسنة نجاة

ما أحسن هذه العبارة التي قال الإمام الزهري رحمه الله عن مشايخه حيث قال: كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة.

فالاعتصام بالسنة نجاة من الانزلاق في ظلمات الجهل التي تؤول بصاحبها إلى الكفر أحياناً. ولذا كانت السنة كسفينة نوح من تمسك بها نجا ومن أعرض عنها هلك.

والسنة هي الحصن الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، أمن على نفسه من الكفر والفسوق والعصيان بل أمن على نفسه عذاب الله وسخطه.

والسنة هي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والسنة هي حياة للقلوب وسعادة للأبدان فصاحب السنة أشد فرحاً بها لأنها تدله على خالقه سبحانه فمن عرف السنة حق المعرفة عرف معبوده حق المعرفة ولذا سمي أحمد رحمه الله إمام أهل السنة وذلك لأنه كانت حركاته وسكناته وفق السنة فكان لا يقوم إلا بسنة ولا يمشي إلا بسنة ولا يأكل إلا بسنة ولا يشرب إلا بسنة ولا ينام إلا بسنة أحب السنة فأحبته وملئ قلبه بها فملئ قلوب الخلق محبته. نسأل الله أن يجعلنا من أهلها إنه سميع قريب.



رابعاً: التعريف بالسنة

لقد بينا فيما سبق أهمية السنة وقلنا بأنها المصدر الثاني من مصادر التشريع عند أهل السنة والجماعة.

ولما كانت منزلته عالية أحببنا أن نعرفها لأهلها حتى لا ينخرطوا في أمور تبعدهم عنها فبمعرفة الشيء يظهر لصاحبه.

تعريف السنة في اللغة: السنة في اللغة هي الطريقة والسيرة حسنة كانت أم قبيحة(١).

أما تعريفها في الاصطلاح: هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه علماً وعملاً واعتقاداً أو قولاً وهي السنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها، وبهذا قيل: فلان من أهل السنة؛ أي: من أهل الطريقة الصحيحة المستقيمة المحمودة(٢).

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: والسنة هي الطريقة المسلوكة فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه ﷺ وخلفاؤه الراشدون: من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة العامة(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: السنة هي ما قام الدليل الشرعي عليه بأنه طاعة لله ورسوله سواء فعله رسول الله ﷺ أو فعل في زمانه أو لم يفعله في زمانه لعدم المقتضي حينئذ لفعله أو وجود المانع منه(٤).

---

(١) لسان العرب لابن منظور، باب النون، فصل السين (١٣/ ٢٢٥).
(٢) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة للدكتور ناصر العقل (ص١٣).
(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٠).
(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ١٣١٧).

يتبين لنا من أقوال الأئمة السابقين أن السنة هي اتباع آثار النبي ﷺ التي جاءت إما عن قول وإما عن فعل أو تقرير منه ﷺ فيدخل في ذلك ما كان منها واجباً أو مستحباً وكذلك اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار كما قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»[١].

كيف تتعرف على صاحب السنة؟

من خلال ما ذكر يمكنك أن تعرف من هم أهل السنة ونوجز لك هذا الأمر بأمور تتعرف من خلالها على صاحب السنة ومن ليس من أهلها.

من هذه الأمور:

١ - إذا رأيت الرجل متمسكاً بالكتاب والسنة متعبداً لله بهما عاضاً على ذلك بالنواجذ فاعلم أنه صاحب سنة.

٢ - إذا رأيت الرجل عند التحاكم في شيء ينظر إلى ما جاء في الكتاب والسنة ويرضى بحكمهما فاعلم أنه من أهل السنة.

٣ - إذا رأيت الرجل محباً للسنة ومحباً للمتمسكين بها مبغضاً لأهل البدع محارباً لهم فاعلم أنه من أهل السنة.

٤ - إذا رأيت الرجل صادقاً في الأقوال والأفعال بالتطبيق الصحيح للكتاب والسنة فاعلم أنه صاحب سنة.

٥ - وبالجملة إذا رأيت الرجل مهتدياً بالكتاب والسنة ظاهراً وباطناً فاعلم أنه من أهل السنة. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.



(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٠١)، والترمذي (٥/ ٤٤)، وابن ماجه (١/ ١٥ - ١٦).

البدعة وآثارها السيئة

تمهيد.

* نصوص الكتاب في التحذير من البدعة.
* دلالة السنة على التحذير من البدعة.
* ذكر أقوال السلف في التحذير من البدعة.
* أسباب البدع.
* التعريف بالبدعة.
* وسائل الوقاية من البدع.

البدعة وآثارها السيئة

تمهيد:

بينت فيما سبق أهمية السنة ووجوب العمل بها وأنها الأصل الثاني من أصول التشريع وغير ذلك مما هو متعلق بها. لكن لما كان الصراع بين الحق والباطل قائماً بل أخذ الباطل يصد عن الحق بكل ما يملك من قوة ولكن هيهات هيهات قال الله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٨]. وقال: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الرعد: ١٧]. فالزبد هو الباطل وكل ما يحمله والنافع للناس هو الحق، فالمراد بالحق في قولنا هو السنة وما تحمله من خير وصلاح للعبد بل للأمة بأسرها في الدنيا والآخرة، والمراد بالباطل هو البدعة وما تحمله في طياتها من شر وفساد على الأمة بأسرها.

وسنتكلم في هذا المبحث على ما هو مختص بالبدعة ليحيى من حي عن بينة ويهلك كذلك من هلك عن بينة فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: ما جاءت به نصوص الشريعة في النهي عن البدعة والإحداث في الدين.

لقد حذر الله عباده من الإحداث في الدين بعد أن أكمله لهم فقال في بيان كمال دينه سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن كثير رحمه الله: هذه أكبر نعمة لله على هذه الأمة حيث أكمل الله تعالى دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيهم ولهذا جعله الله

تعالى خاتم الأنبياء وبعثه إلى الإنس والجن فلا حلال إلا ما أحل الله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق لا كذب فيه ولا خلف(١).

وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللهُ: فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه وهو السنة، والسبل هي سبيل أهل الاختلاف الجائرين عن الصراط المستقيم وهم أهل البدع(٢). وقال أيضاً: فهذه الآية تشمل النهي عن جميع طرق أهل البدع(٣).

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال الإمام الشاطبي: هؤلاء هم أصحاب الأهواء والضلالات والبدع من هذه الأمة(٤).

والآيات التي جاءت في التحذير من البدع والنهي عن سلوك طريق أهل البدع كثيرة جداً.

أما السنة فقد جاءت نصوصها صريحة في ذلك نذكر طرفاً منها.

دلالة السنة على النهي عن البدع:

١ ـ حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**(٥)، وفي رواية لمسلم: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»**(٦).

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٩١٢).
(٢) الاعتصام (١/ ٧٦).
(٣) المرجع السابق (١/ ٧٨).
(٤) الاعتصام (١/ ١٧٩).
(٥) رواه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨).
(٦) رواه مسلم (١٧١٨).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح صحيح مسلم: قال أهل العربية: إن الرد هنا بمعنى المردود ومعناه باطل غير معتد به.

وقال: وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات.

وقال أيضاً: وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به[١].

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده فإن معناه من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه[٢].

٢ ـ وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: «**أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**»[٣].

وفي رواية النسائي كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: «**من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»[٤].

٣ ـ وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[٥].

---

(١) شرح النووي لمسلم (١٤/ ٢٥٧).
(٢) فتح الباري (٥/ ٣٠٢).
(٣) رواه مسلم (٨٦٧).
(٤) رواه النسائي (٣/ ١٨٨) برقم (١٥٧٨).
(٥) رواه مسلم (١٠١٧).

قال صاحب تحفة الأحوذي: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» أي: أتى بطريقة مرضية يشهد لها أصل من أصول الدين، «**ومن سن سنة سيئة**»، وفي رواية: «**ومن سن في الإسلام سنة سيئة**» أي: طريقة غير مرضية لا يشهد لها أصل من أصول الدين[١]. انتهى.

والأحاديث كثيرة جداً في النهي عن البدع وما ذكرناه فيه كفاية ولله الحمد. أما ما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم في النهي عن الإحداث في الدين والأمر باتباع سيد المرسلين ﷺ فما جاء عنهم كثير، من ذلك.

ذكر أقوال السلف في التحذير من البدع:

١ ـ ما قاله أبو بكر ﷺ، فقد قال: أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني[٢].

٢ ـ وقال عمر ﷺ: إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا[٣].

٣ ـ وعن ابن مسعود ﷺ: حدث أن ناساً يسبحون بالحصى في المسجد فأتاهم وقد كوّم كل رجل منهم كومة من حصى فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد وهو يقول:

«لقد أحدثتم بدعة ظلماء أو لقد فضلتم أصحاب رسول الله ﷺ علماء اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، كل بدعة ضلالة»[٤].

وما ذكر عنه في مقام شدته على أهل البدع فهو كثير.

٤ ـ وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «أما بعد أوصيك بتقوى الله والاقتصاد

(١) تحفة الأحوذي (٧/ ٤٣٩).
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ١٣٦).
(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة (١/ ١٣٩)، والدارمي (١/ ٤٧).
(٤) أخرجه ابن وضاح في ما جاء في البدع (ص٤٣) رقم (١٢، ١٤).

في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته»[١].

وها هم أئمة الهدى ـ رحمهم الله ـ بعد صحابة النبي ﷺ يحثون على التمسك بالسنة ويحذرون من الركون إلى البدعة.

ما قاله الإمام أحمد رحمه الله:

قال: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدل والخصومات في الدين[٢].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام[٣].

وقال الإمام مالك رحمه الله: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً[٤].

فهذه نصوص الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومن بعدهم مليئة بالنهي عن الابتداع في دين الله والنهي عن سلوك أهل الأهواء الذين جاءوا ببدع من تلقاء أنفسهم فتعبدوا إلى الله بها ودعوا الناس إلى التعبد بها وكل هذا ضلال وكفر.

وليعلم هؤلاء المبتدعون أنهم أعظموا على الله الفرية بعملهم هذا فالمبتدع مشرع والتشريع حق لله تعالى. قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة (٤/٢٠٣)، وصححه الألباني (٣/٨٧٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٧٦).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٩/١١٦).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/٦٥).

أسباب البدع:

ذكر الإمام الشاطبي أسباباً كثيرة كانت سبباً في البدع، سنذكرها مجملة مخافة الإطالة، فمن هذه الأسباب:

١ ـ الجهل فهو أعظم آفة

٢ ـ اتباع الهوى

٣ ـ التعلق بالشبهات

٤ ـ الاعتماد على الفعل المجرد دون الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة.

٥ ـ التقليد والتعصب، فإن أكثر أهل البدع يقلدون آباءهم ومشايخهم ويتعصبون لمذهبهم.

٦ ـ مخالطة أهل الشر ومجالستهم، ولذا حذر السلف من مجالسة أهل الشر من أصحاب الأهواء.

٧ ـ سكوت العلماء وكتم العلم

٨ ـ الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٩ ـ الغلو وهذا من أعظم أسباب انتشار البدع فبه قام الشرك منذ عهد نوح عليه السلام إلى وقتنا هذا.



تعريف البدعة

بعد أن ذكرنا ما جاءت به نصوص الشريعة في التحذير من البدع والإحداث في الدين نريد أن نوضح معنى البدعة التي جاءت نصوص الشرع بالنهي عنها.

معناها في اللغة:

معنى البدعة في اللغة: الحدث في الدين بعد الإكمال؛ أو ما استحدث بعد النبي ﷺ من الأهواء والأعمال.

أما في الاصطلاح: فقد عرفها أهل العلم بعدة تعريفات، منها: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ:

البدعة في الدين هي ما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ: وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب أو استحباب(١).

وقال أيضاً: والبدعة ما خالف الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات(٢).

وقال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سُبْحَانَهُ.

فتبين من تعريف البدعة أنها شيء اخترع في الدين لم تأت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة بوجوده ولكن قام به المبتدع ويجعله ديناً يتعبد إلى الله تعالى به.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/١٠٧ ـ ١٠٨).
(٢) المرجع السابق (١٨/٣٤٦).

وسائل الوقاية من البدع

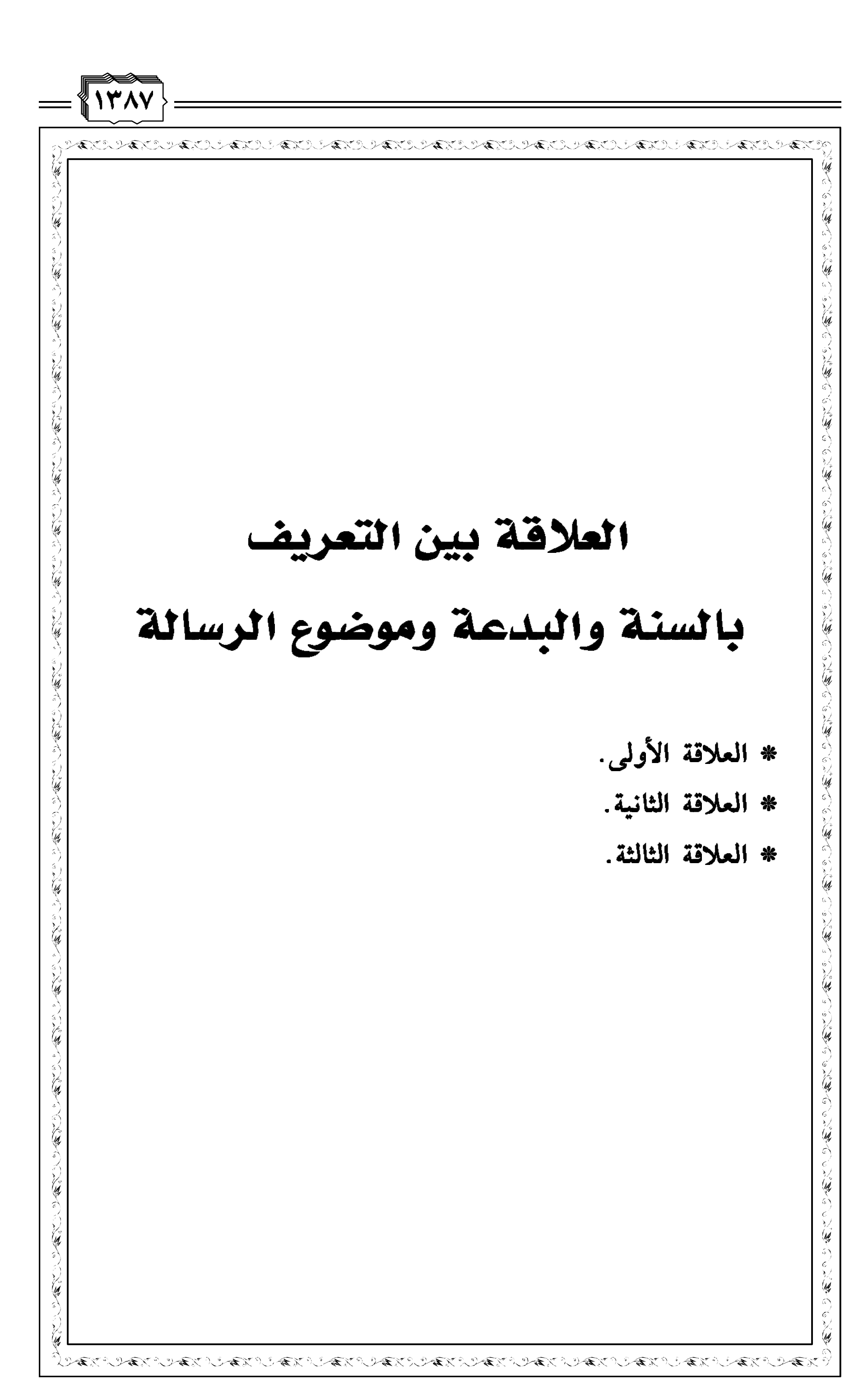
كيف نقي مجتمعاتنا من الوقوع في مستنقعات البدع المذمومة؟ سؤال لا بد من طرحه والإجابة عليه. فنقول من أهم الوسائل التي نقي بها مجتمعنا من هذه البدع:

١ ـ نشر السنة والتعريف بها وبيان فضلها والتمسك بها.

٢ ـ التطبيق العملي للسنة في سلوك الفرد وسلوك المجتمع، فإذا قام الناس جميعاً بذلك أصبح أهل البدعة نشازاً في المجتمع بارزين للناس فعندئذ يجتنبهم الناس، وبمعرفتهم يمكن القضاء عليهم.

٣ ـ القضاء على البدع التي ذكرناها سابقاً.





العلاقة بين التعريف بالسنة والبدعة وموضوع الرسالة

* العلاقة الأولى.
* العلاقة الثانية.
* العلاقة الثالثة.

العلاقة بين التعريف بالسنة والبدعة وموضوع الرسالة

العلاقة الأولى:

قال عمر ﷺ: لا يعرف الإسلام من لا يعرف من الجاهلية شيئاً، فالجاهلية بما تحمله من بدع كفرية وشركية جاء الإسلام وهدمها وبيَّن مساويها، فلذا عرف الصحابة الإسلام حق المعرفة وعرفوا ما كانوا عليه من جاهلية ظلماء عمياء فكانوا يتحدثون عن ذلك ويتعجبون مما كانوا عليه، ولذا يقول بعضهم للنبي ﷺ: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير.

فمعرفة الناس بالسنة وفضلها والبدعة ومساويها هو في الحقيقة معرفة بالإسلام وما حمله من فضائل والجاهلية وما تحمله من رذائل، فالإسلام جاء بكل معاني الخير الجميلة، فكان من الخير الذي به الاستمساك بهدي النبي ﷺ وعدم الإحداث بعده. . .

وإذا نظرنا إلى واقع السواد الأعظم من المسلمين اليوم لوجدنا أنه قد استحكم فيهم الجهل وأصبح عنواناً لهم (إلا من رحم ربك) جهل بأصول الدين فضلاً عن فروعه فقادهم جهلهم بإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، فأنكروا السنة والاحتجاج بها وأولوا نصوص الكتاب وصرفوها عن ظاهرها، وبذلك اندرست السنة حتى أصبح المتمسكون بها في أوطانهم وعشائرهم معادين محاربين مع إفساح المجال لأهل البدع والضلال.

فكان ولا بد من بيان فضل السنة وبيان حجية الاحتجاج بها وأن إنكارها كفر بالله تعالى، وكان لا بد من بيان البدعة وخطورتها وخطورة العمل بها لكي يتعرف كل مسلم أين هو من دينه وهل هو قائم على سنة أو بدعة.

العلاقة الثانية:

لو نظرنا إلى منهج السلف ـ رضوان الله عليهم ـ حينما يتكلمون عن موضوع البدعة التي يقع فيها بعض الناس يبينون أهمية التمسك بالسنة وفضل العمل بها ويحذرون من البدع وخطورة العمل بها، وهذا أسلوب جيد حيث إذا دخلنا في موضوع البدعة مباشرة قد يكون جانب التأثير فيه ضعف ولكن تحبيب الناس في السنة وتحذيرهم من البدعة ثم الدخول في البدع التي يفعلونها هو أسلوب مهم جداً لكل داعية لأنه بهذا الأسلوب يستطيع الإنسان معرفة البدع سواء منها ما سنتكلم عنها بالنسبة للرسالة أو غيرها من البدع الأخرى؛ لأنه بتعريف السنة والبدعة يستطيع الإنسان التمييز بين كون هذا العمل سنة أم بدعة.

العلاقة الثالثة:

حينما يتعرف المسلم على شروط العبادة ويتعرف أيضاً على القاعدة المعروفة (أن العبادات مبناها على التوقف) فإنه يقف عند كل أمر يريد أن يفعله ويفكر فيه هل هو من الدين في شيء أم لا؟ فإن كان من الدين فبها ونعمت وإلا فلا يجوز الإقدام عليه إطلاقاً.

ولذلك كان ولا بد من التعريف بالسنة والبدعة لكي يكون المسلم على بصيرة من دينه ويتعرف على خطورة ما يقوم به المبتدعون فينجوا بنفسه ويدعو إخوانه للنجاة.



ذكر بعض الشبهات
التي قذفها الشيطان في قلوب أوليائه
مضاهاة للحق وأهله

* الشبهة الأولى والجواب عليها.
* الشبهة الثانية والجواب عليها.
* الشبهة الثالثة والجواب عليها.
* الشبهة الرابعة والجواب عليها.
* الشبهة الخامسة والجواب عليها.

بعض الشبهات
التي قذفها الشيطان في قلوب أوليائه
مضاهاة للحق وأهله

هناك بعض الشبه من الأدلة يستخدمها المروجون للبدع في الدعوة لبدعهم المذمومة سنذكر بعضا منها ثم نجيب عليها بما تيسر:

الشبهة الأولى:

يقول المبتدعون: أما دليلنا على جواز التوسل إلى الله تعالى بالنبي ﷺ فقد جاءت به نصوص الكتاب والسنة ثم يذكرون دليلهم على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. والمعنى عندهم؛ أي: يا أيها الذين آمنوا حققوا التقوى وإذا أردتم دعائي اطلبوا إليّ وسيلة لكي أستجيب لكم ولا وسيلة أفضل من النبي عندنا.

الشبهة الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

ثم يذكرون قصة ذكرها ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية.

الشبهة الثالثة:

من السنة: ما رواه الترمذي في جامعه أنه قال: حدثنا محمود بن غيلان، ثنا عثمان بن عمرو، ثنا شعبة بن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «**إن شئت دعوته وإن شئت صبرت فهو خير لك**» قال:

فادعه، فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى، اللهم فشفعه فيّ**».

قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه.

وفي بعض الروايات: «**يا محمد إني أتوجه**» إلى آخره[١].

الشبهة الرابعة:

ما رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقي ابن حنيف فشكا له ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسالك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد أتوجه بك إلى ربك ليقضي لي حاجتي... (الحديث).

الشبهة الخامسة:

يروي بعض المبتدعين حديثاً وفيه: «**إذا توسلتم إلى الله فاسألوه بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم**».

فهذا عام في حياته وبعد مماته فيجوز على قولهم واحتجاجهم بهذا المدعى التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ.

الجواب على الشبهة الأولى:

في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

أولاً: من الأمور المسلم بها عند أهل السنة والجماعة **أن تفسير كلام رب العالمين له ثلاث طرق**:

(١) سيأتي تخريجه عند الجواب على هذه الشبهة إن شاء الله.

الأولى: إما أن يفسر القرآن بالقرآن.

الثانية: وإما أن يفسر القرآن بما جاء عن النبي ﷺ.

الثالثة: وإما أن يفسر بما فهمه سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم بإحسان فهم أعلم الناس بمراد الله بعد نبيه ﷺ، فمن عدل عن قولهم وخاض في تفسير كلام رب العالمين دون الرجوع إلى هذه الأصول الثلاثة فقد ضل، وكذا قال السلف: كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف. فالذي يريد النجاة في الدنيا من الوقوع في الزيغ وفي الآخرة من عذاب رب العالمين عليه أن لا يتجاوز ما ذكر.

ثانياً: للإجابة عن هذه الآية نذكر كلام شيخ الإسلام رحمه الله فيها، فإن تفسيره لمعنى الوسيلة والتوسل فريد من نوعه لم يسبقه أحد إليه.

قال رحمه الله:

إذا عرف هذا فقد تبين أن لفظ (الوسيلة) و(التوسل) فيه إجمال واشتباه يجب أن يعرف معانيه، ويعطي كل ذي حق حقه فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك.

فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغى وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك سواء أكان محرماً أم مكروهاً أو مباحاً، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب أو استحباب، وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ.

فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلا بذلك.

والثاني: لفظ الوسيلة في الأحاديث الصحيحة لقوله ﷺ: «**سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد**»(١).

فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة. وقوله: «**ومن قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته** ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾»(٢). حلت له الشفاعة فهذه الوسيلة للنبي ﷺ خاصة. وقد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة، وأخبر أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله وهو يرجو أن يكون ذلك العبد، وهذه الوسيلة أمرنا أن نسألها للرسول وأخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت له الشفاعة يوم القيامة، فلما دعوا للنبي ﷺ استحقوا أن يدعو هو لهم لأن الجزاء من جنس العمل فإن الشفاعة من جنس الدعاء كما قال: «**من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشراً**»(٣).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به في كلام الصحابة فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته، والتوسل به في عرف كثير من المتأخرين يراد به الإقسام به والسؤال به كما يقسمون بغيره من الأنبياء والصالحين ومن يعتقد فيهم الصلاح.

وحينئذ فلفظ التوسل له معنيان صحيحان باتفاق المسلمين ويراد به معنى ثالث لم ترد به السنة.

---

(١) رواه البخاري (١/١٥٢)، ومسلم (١/٢٨٨).

(٢) رواه البخاري (١/١٥٢)، وزيادة: إنك لا تخلف الميعاد، رواها البيهقي (١/٤١٠) وصححها ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في تحفة الأخيار (ص٣٨).

(٣) رواه مسلم (١/٢٨٨).

فأما المعنيان الأولان الصحيحان باتفاق العلماء:

فأحدهما: هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به وبطاعته.

والثاني: دعاؤه وشفاعته كما تقدم.

فهذان جائزان بإجماع المسلمين ومن هذا قول عمر بن الخطاب: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبيك فأسقنا؛ أي: بدعائه وشفاعته.

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي: القربة إليه بطاعته، وطاعة رسوله طاعته، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

فهذا التوسل الأول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين.

وأما التوسل بدعائه وشفاعته ـ كما قال عمر ـ فإنه توسل بدعائه لا بذاته ولهذا عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بعمه العباس، فلما عدلوا عن التوسل به إلى التوسل بالعباس علم أن ما يفعل في حياته قد تعذر بموته، بخلاف التوسل الذي هو الإيمان به والطاعة فإنه مشروع دائماً.

الخلاصة: فلفظ التوسل يراد به ثلاث معان:

أحدها: التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن من ليس قوله حجة. انتهى المراد[1].

(١) التوسل والوسيلة ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١/١٩٩ ـ ٢٠٢).

فما أجمل كلامه وما أحسنه ففيه شفاء للعليل من علله أسأل الله تعالى أن يهدي ضال المسلمين.

الجواب على الشبهة الثانية:

وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

هذه الآية احتج بها المبتدعون على جواز بدعتهم في طلب الاستغفار من النبي ﷺ بعد موته، فتراهم يأتون إلى قبر النبي ﷺ فيقولون: يا رسول الله استغفر لنا أو ادعوا الله أن يغفر لنا ونحو ذلك، بل زعموا أن هذه الآية باقية في الحكم في حياة النبي ﷺ وبعد مماته بل جعلوها من قبيل الناسخ والمنسوخ؛ أي: لم يأت ناسخ لها فينسخها، وهذا جهل مركب بنصوص الكتاب العظيم.

وكما أسلفنا الذكر يجب الرجوع عندما يختلط علينا فهم الآيات ولا نفهم مراد الله منها إلى فهم سلف الأمة لها.

وسنذكر بعض أقوال أهل العلم ممن فسروا هذه الآية لنبين لأهل الأهواء أنه لم يأت في تفسير واحد منهم جواز الذهاب إلى قبر النبي ﷺ وطلب الاستغفار منه.

قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره:

يعنى بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف الله صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدوداً ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها ﴿جَآءُوكَ﴾ جاؤوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم ويسأل لهم رسوله ﷺ مثل ذلك وذلك هو معنى قوله: ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾.

وأما قوله: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ فإنه يقول: لو كانوا فعلوا ذلك

فتابوا من ذنوبهم ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ يقول: راجعاً لهم ما يكرهون إلى ما يحبون ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك[(٢)].

وممن أجاب على هذه الآية إجابة مستفيضة العلامة الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي في كتابه الصارم المنكي في الرد على السبكي، وسنذكر فيما يلي جانباً من رده على السبكي في هذه الآية.

قال السبكي: الباب الخامس في تقرير كون الزيارة قربة وذلك بالكتاب والسنة والإجماع والقياس.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

قال السبكي: دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم وذلك وإن كان ورد في حال الحياة فهي رتبة له ﷺ لا تنقطع بموته تعظيماً له.

(فإن قلت): المجيء إليه في حال الحياة ليستغفر لهم وبعد الموت ليس

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١/٥١٧).

(٢) تفسير ابن سعدي تيسير الكريم الرحمٰن، سورة النساء، الآية: ٦٤ ٢/٩٣، المجموعة الكاملة لمؤلفات ابن سعدي.

كذلك (قلت): دلت الآية على تعليق وجدانهم أن الله تواباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول، فأما استغفار الرسول فإنه حاصل لجميع المؤمنين لأن رسول الله ﷺ استغفر لجميع المؤمنين والمؤمنات لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، إلى آخر ما قاله السبكي.

فأجاب ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عليه فقال:

الجواب أن يقال: قوله: وهي قربة بالكتاب والسنة والإجماع والقياس الكلام عليه من وجوه:

الأول: مطالبته بتصحيح دعواه وإلا كانت مجردة عما يثبتها.

الثاني: القربة هي ما جعله الله ورسوله قربة، إما بأمره أو بإخباره أنها قربة وإما بالثناء على فاعلها وإما بجعل الفعل سبباً لثواب يتعلق عليه أو تكفير سيئة ونحو ذلك من الوجوه التي يستدل بها على كون الفعل محبوباً لله.

الثالث: أنه لا يكفي أن يكون الفعل محبوباً له في كونه قربة وإنما يكون قربة إذا لم يستلزم أمراً مبغوضاً مكروهاً له أو تفويت أمر هو أحب إليه من ذلك الفعل، وأما إذا استلزم ذلك فلا يكون قربة.

الرابع: أنه يتقرب إلى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعين ما نهى عنه وحذر منه الأمة بقوله: «**لا تتخذوا قبري عيدا**»، ومعلوم أن جعل الزيارة من أفضل القرب متلزم لجعل القبر من أجل الأعياد.

الخامس: أما استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ الآية فالكلام فيها في مقامين:

أحدهما: عدم دلالته على مطلوبه.

الثاني: بيان دلالتها على نقيضه وإنما يتبين الأمر بفهم الآية ما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم، ولم يفهم أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته يستغفر لهم، وقد ذم الله تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذ ظلم نفسه وأخبر

أنه من المنافقين فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝﴾ [المنافقون: ٥].

وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ فظلم نفسه بهذا أعظم الظلم ثم لم يجئ إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له... إلى أن قال رحمه الله:

وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً ولو كان حقاً لسبقونا إليه (يعني: السلف) علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو في سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المتأخر... إلى أن قال رحمه الله:

أما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه ﷺ صورها بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة ولم يقل مسلم إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له ولو كان هذا طاعة لكان خير القرون قد عصوا هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة... إلى آخر كلامه رحمه الله.

أما قوله ـ أي: السبكي ـ: (وكذلك فهم العلماء العموم من الحالتين) فيقال: من فهم هذا من سلف الأمة وأئمة الإسلام فاذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من الأئمة وأهل الحديث والتفسير أنه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته أو عمل به وأرشد إليه. فدعواك على العلماء بطريق العموم وهذا الفهم دعوى باطلة(١).

ومما استدل به السبكي عند تأويله هذه الآية القصة المشهورة التي يدندن عليها المبتدعون لترويج بدعهم ما رواه أبو الحسن بن علي بن محمد بن

(١) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٤٢٧ ـ ٤٢٩).